الوحدة التاسعة
بين الجديد والقديم

الجزء الثاني

التمهيد:

لا تُبْنَى الحضارةُ بِما يُنجزُه أهلُها في الزَّمنِ الحاضرِ فقط، وإنَّما تُبْنَى بالإفادةِ من إرثِ الأوَّلينَ وأفكارِهم وتجارِبِهم، فيأتي الجيلُ الجديدُ ليأخذَ الصَّالحَ من ذلك الإرثِ ويطوِّرَه للأحسنِ ويطرحَ الطَّالحَ، فالتقدُّمُ إنّما هو تكاملٌ بينَ الأجيالِ وليسَ تقاطُعًا.

المفاهيمُ المُتَضَمَّنَةُ:

- مفاهيمُ أخلاقيَّةٌ
- مفاهيمُ تربويَّةٌ
- مفاهيمُ لُغويَّةٌ
- مفاهيمُ أدبيَّةٌ

ما قبل النص

هل ترى أنَّ التمسكَ بالحداثة والسعي وراءَ الجديد يبيحُ لك الانتقاصَ من ماضيك وتراثك ويجعلك تعتقد أنَّ الجديدَ هو الافضل بلا تمحيصٍ ولا تدقيقٍ؟

الدَّرْسُ الأوَّلُ: المُطالَعَةُ/ رسالة من أبٍ إلى ابنه (*)

لا أستطيعُ أنْ أُنكرَ عليكَ - ولدي العزيز- أنَّ شبابَكَ أعظمُ قوَّةً ونشاطًا، وأبعدُ هِمَّةً، وأقوى عزيمةً مِنْ شيخوختي، وأنَّ يديَّ الشَّاحبتينِ لا تستطيعانِ أنْ تصلا إلى ما تصلُ إليهِ يداكَ المُقتدرتانِ، وأنَّ آراءَك وأفكارَكَ وآمالَكَ وجميعَ تصوّراتِكَ عنِ العالمِ الجديدِ، أكثرُ حِدَّةً وحرارةً، وأبعدُ غورًا وعُمقًا مِنْ آرائي وتصوّراتي، ولكنَّ الذي أُنكرُهُ عليكَ، وأعتبُ عليكَ فيه أشدَّ العتبِ هو زرايتُكَ عليَّ ورميُكَ إيايَ بالجمودِ مرَّةً والخَرَفِ مرَّةً أخرى،كُلَّما اختلفتُ معكَ في شأنٍ منَ الشُّؤونِ.

أَمَا قرأْتَ قولَه تعالى في مُحكمِ كتابِهِ العزيزِ:(وَاعْبُدُواللَّهَ وَلَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)(النِّساء:٣٦) فاللهُ جلَّ عُلاهُ جَعَلَ الإحسانَ للوالدينِ في المرتبةِ الثَّانيةِ بعد عبادتِهِ وعدمِ الإشراكِ به. أو لا تسمعُ قولَ نبيِّنا الأكرمِ مُحمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّمَ) وهو يجعلُ عُقوقَ الوالدَينِ صِنْوَ الكبائرِ بعدَ الإشراكِ باللهِ تعالى، قال: «أَلا أُحدِّثُكم بأَكبرِالكبائرِ؟ قالوا: بَلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: الإشراكُ باللَّهِ، وعقوقُ الوالدينِ».

وأَنعي عليكَ أيضًا كبرياءَكَ وخُيلاءَكَ واعتدادَكَ بِنفسِكَ، هذا الاعتدادُ العظيمُ الذي يُخيَّلُ إليكَ معه أنَّ هذهِ الألوانَ الجميلةَ التي تتلوَّنُ بها حياةُ الشَّبابِ الحاضرةُ، وهذا الجديد الذي يُحاصرُ حياتَكم، ويُسَيِّرُ علاقاتِكم معَ الآخرينَ، إنَّما هو خاصٌّ بكُمْ، ووقفٌ عليكُمْ، لم يَمُرَّ بعصرٍ غيرِ عصرِكُم، ولم يَزْهُ بهِ شبابٌ غيرُ شبابِكُم، وأنَّكم أنتم أصحابُ الفضلِ الأوَّلِ في ابتكارِهِ وممارستِهِ، فلَوْما تحتكمونَ إلى العقلِ والحكمةِ.

ولو أنَّكم – أيُّها الشَّبابُ – استطعْتُم أنْ تحملوا أنفسَكُم على الرَّويَّةِ والأناةِ، وأنْ تنتقلوا بأنظارِكُم من الحاضرِ إلى الماضي، لَعَلِمْتُم أنَّ هذا العهدَ الذي يمرُّ بِكُم اليومَ الذي تُفاخرونَنا بهِ وتدلُّونَ علينا بأحلامِهِ وأمانيهِ وتصوُّراتِهِ وخيالاتِهِ، قد مرَّ بِنا مثلُهُ

* من كتاب النظرات للمنفلوطي بتصرف.

في زمانِنا، فقد كانَ لنا شبابٌ مثلُ شبابِكُم، نتصوَّرُ بهِ كما تتصوَّرون، ونفكِّرُ كما تفكِّرونَ، ونُردِّدُ في أنفسِنا وأحاديثِنا وعلى أَسَلاتِ أقلامِنا جميعَ هذهِ الآراءِ والأفكارِ التي تُردِّدونها اليومَ، وتصوّراتِكم التي تحملونها عنْ كُلِّ ما هو جديدٌ حولَكم، حتَّى انطوى ذلك العهدُ، وزالتْ معالمُهُ، وهدأتْ على إثرِهِ تلكَ الثَّورةُ النَّفسيَّةُ التي كانتْ تعتركُ بينَ جوانحِنا، ودَخَلْنا غِمارَ الحياةِ الحقيقيَّةِ،حياةِ الجدِّ والعملِ والنَّظَرِ والتَّأمُّلِ، فاستطعْنا بمشيئةِ اللهِ تعالى أنْ نهبطَ بهدوءٍ وسكونٍ إلى أعماقِ قلوبِنا، ونستعرضَ تلكَ الآراءَ والأفكارَ، وننظرَ إلى كلِّ جديدٍ بعينٍ فاحصةٍ مُدقِّقةٍ،ونعتبرَ من تجاربِ الماضِيْنَ .

هلَّا تعلَّمْتَ كيفَ توازنُ بينَ الماضي والحاضرِ والمستقبلِ؛ حتَّى لاتكونَ مِنَ الّذين َيقضونَ الشَّطْرَالأوَّلَ مِنْ حياتِهم في اشتهاءِ الشَّطْرِالثَّاني، ويقضونَ الشَّطْرَالثَّاني في التَّأسُّفِ على الشَّطْرِالأوَّلِ، فلوما الماضي ما تحقَّقَ حاضرٌ جميلٌ ومستقبلٌ واعدٌ، فألا كفاكَ مِنْ أخطاءِ الماضي وقفةُ اعتبارٍ تُمكِّنُكَ من تمييزِ الحقِّ من الباطلِ.

وبهذا يستطيعُ الإنسانُ أنْ يُميِّزَ الصَّالحَ مِنَ الطَّالِحِ، والصَّادقَ من الكاذبِ، والمعقولَ مِنَ الموهومِ، فلولا تُقلِّبُ الأشياءَ على جميعِ وجوهِها لِتَرى وجوهَ الحُسْنِ فيها ووجوهَ القُبْحِ، فتوازِنَ بين هذهِ وتلكَ،وتأخذَ بما أربتْ حسناتُهُ على سيّئاتِهِ، وتطرحَ ما زادتْ سيِّئاتُهُ على حسناتِهِ.

ولدي - قُرَّةَ عيني وفلذَّةَ كَبِدي - كُنَّا نبتهجُ بكلِّ جديدٍ كما تبتهجونَ أَنتمُ اليومَ، وننفرُ مِنْ كلِّ قديمٍ كما تنفرونَ، ونعدُّ الأوَّلَ آيةً مِنَ الآياتِ مهما سَخُفَ وقلَّتْ قيمتُهُ، والثَّانيَ نكبةً مِنَ النَّكباتِ مهما غَلَتْ قيمتُهُ ونفُسَ قَدرُهُ، لا لأنَّنا وازَنَّا بينهما وفاضلْنَا بينَ مزاياهُما، فَحكمْنَا عليهما، بل لأنَّنا كُنَّا قريبي عَهْدٍ بزمنِ الطفولةِ، والطِّفلُ سريعُ الملِ والسَّآمةِ، لا يصبرُ على لُعبتِهِ أكثرَ مِنْ يومٍ ثُمَّ يملُّها فيكسرُها ويستبدلُ منها.

وكُنَّا مُولَعينَ بالتَّقليدِ وَلَعَكُم بهِ،لا نكادُ نعرفُ لأنفسِنا صورةً خاصَّةً ترتكزُ عليها أعمالُنا في الحياةِ، بل كانتْ تمرُّ بنا جميعُ الصّورِ على اختلافِ أنواعِها وألوانِها،

فنلتقطُها بأسرعَ مِمَّا تلتقطُ عدسةُ الكاميرا الصُّورَ، كأنَّ فضاءَ حياتِنا معملٌ لِتجاربِ الحياةِ واختباراتِها. فلَوْما ابتعدْتَ من التقليدِ الأعمى،وانتفعْتَ من تجاربِ الآخرينَ بما يُحقِّقُ لكَ نجاحًا وتميُّزًا،مِنْ دونِ مساسٍ بثوابِتِكَ ومبادِئِكَ.

وكانَ العارفُ مِنَّا بلغةٍ أجنبيَّةٍ لا يلبثُ أنْ يفتتنَ بها وبأصحابِها افتتانًا شديدًا رُبَّما حملَهُ على احتقارِ لغتِهِ وتأريخِها، فيترفَّعُ عَنْ ذِكْرِ رجالِها وعُظمائِها في أحاديثِهِ واستشهاداتِهِ، ويسخرُ منهم كُلَّما جرى ذكرُهم على لسانِ أَحَدٍ غيرِهِ، لا لأنَّه يفهمُهُم أو يفهمُ غيرَهم، بَلْ لأنَّه كانَ بسيطًا غَريرًا يحتقرُ كُلَّ ما في يدِهِ، ويستعظمُ كُلَّ ما في يَدِ غيرِهِ.

ولَمْ نعرفْ إلّا بعدَ زوالِ ذلكَ العهدِ أنَّنا كُنَّا مُخطئينَ في جميعِ تلكَ التَّصوّراتِ والأفكارِ، وأنَّها لم تكنْ عقائدَ راسخةً في نفوسِنا،بَلْ أشباحًا وصورًا تتراءى في حياتِنا،فنُعْجَبُ بِها،ونَسْتَطِيْرُ فرحًا وسرورًا بِجمالِ منظرِها وبهجةِ ألوانِها، فأصبحْنا بعدَ ذلكَ مُعتدلينَ في آرائنا، مُتَّئدينَ في أحكامِنا،نُحبُّ الجديدَ، ونأخذُ النَّافعَ من موادِّ المدنيَّةِ والحضارةِ من الأُممِ الأخرى بما ينسجمُ مع ثوابتِنا ومعتقداتِنا، ونُحبُّ أدبَ الغربِ ونُعْجَبُ بِأُدبائهم وعلمائهم،مِنْ دونِ أنْ نحتقرَ – بسببِ انبهارِنا بكلِّ ما هو جديدٌ وغريبٌ – تأريخَنا ورجالاتِهِ، وحاضرَنا ومُبدعيهِ.وكُنَّا كما أنتم اليومَ ندَّعي الجِدَّةَ والحداثةَ، ونلاحقُ كلَّ ما تفرزُه الحداثةُ من سلوكيَّاتٍ ومُستحدثاتٍ، ونتمسَّكُ بالغرابةِ والإغماضِ الذي يدعو إليه بعضُ الجديدِ، من دونِ أنْ نسعى ونُثابرَ ونعتمدَ على طاقاتِنا لإنتاجِ الجديدِ النَّافعِ. أَلا تَعُونَ خطورةَ الاعتمادِ على غيرِكم والتكاسُلِ عن أداءِ مسؤوليتِكم تُجاهَ وطنِكم وشعبِكم.

في أثناءِ النَّصِّ

ميزانُ تقدُّمِ الأُممِ وقوَّتِها محكومٌ بنتاجاتِ أبنائها؛ لذا ينبغي لَنَا أنْ نكونَ مُنتجينَ للمَعْرِفَةِ لا مُستهلكينَ فقط.

ما بَعْدَ النَّصِّ

معاني الكلماتِ:

الغَوْرُ: مِنْ كُلِّ شيءٍ قَعْرُهُ وعُمْقُهُ.

الخُيَلاءُ: التَّكَبُّر والعُجْبُ.

أَسَلاتُ الأقلامِ: طَرَفُها ومُسْتَدَقُّها.

الطَّالِحُ: الفاسِدُ.

المُتَّئِدُ: المُتَأَنِّي.

اسْتَعِنْ بِمعجمِكَ لإيجادِ معاني الكلمتَينِ الآتيتينِ:

الجَوَانِح، الأَناة

نشاطٌ:

دُلَّ عَلى نَوْعِ (لا) في جُمْلةِ: (لا أستطيعُ أنْ أُنْكرَ عَليك).

نشاطُ الفَهْمِ والاستيعابِ:

في ضوءِ قراءَتِكَ النَّصَّ هلْ تستطيعُ أنْ تستشهدَ بآياتٍ قرآنيَّةٍ أو أحاديثَ نبويَّةٍ تحثُّ على برِّ الوالدَينِ وحُسنِ معاملتِهما؟

أُسلوبا العَرْضِ والتَّحضيضِ

دَرسْتَ –عزيزي الطَّالبَ- في موضوعاتٍ مُتقدِّمةٍ قسمًا مِنَ الأساليبِ الطَّلبيَّةِ التي يلجأُ إليها العربيُّ إذَا أَرادَ الطَّلَبَ، وهي (الاستفهامُ)، و(النِّداءُ)، و(التَّمني والتَّرجّي)، ولمْ يبقَ مِنْ هذِهِ الأساليبِ سِوَى أسلوبٍ واحدٍ، فلو عُدْتَ الى النَّصِّ ولاحظْتَ الجمل (أَمَا قرأْتَ قولَه تعالى) و(أَلا تسمعُ قولَ نبيِّنا الأكرمِ مُحمَّدٍ)، و(هلَّا تعلَّمْتَ كيفَ توازنُ بينَ الماضي والحاضرِ والمستقبلِ)، و(لو ما ابتعدْتَ من التقليدِ الأعمى)، لَتبيَّن لكَ أنَّ هذهِ الجملَ تشتركُ في صفةِ الطَّلبِ، ولكنَّها تفترقُ في نوعِ هذا الطَّلبِ وشِدّتِهِ، يُسمَّى هذا الأسلوبُ (العَرْضَ والتَحضيضَ)، ولهما أدواتٌ تختصُّ بالدُّخولِ على الأفعالِ، وتتضمَّنُ معنى (افْعَلْ).

أولا: العَرْضُ:

هو طلبٌ برفقٍ ولِيْنٍ، يلجأُ إليه المتكلِّمُ عندما يطلبُ إلى المُخَاطَبِ أمرًا مُعيَّنًا بِلُطفٍ ورقَّةٍ، يظهرُ ذلكَ في كلامِهِ ونبرةِ صوتِهِ. وله أدواتٌ ثلاثٌ، هي: (أَلا) و (أَمَا) و (لَوْ)، وهي أَحرُفٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، لها معنيانِ (العَرْضُ) أو (العَتَبُ):

أ- العَرْضُ: إذا دَخَلتْ على فعلٍ مُضارعٍ، كقولِنا: (أَلا تُساعدُ المُحتاجينَ)، ومثلُهُ قولُ الخنساءِ:

يا أُمَّ عَمْرٍو أَلا تَبْكِيْنَ مُعْوِلَةً عَلى أَخِيْكِ وَقَدْ أَعْلَى بِهِ النّاعي

وقولُنا: (أَمَا تُعاونُ زُملاءَكَ)، ومثلُهُ قولُ الشَّريفِ المُرْتَضَى:

أَمَا تَرَى الرَّبْعَ الّذي أَقْفَرَا عَرَاهُ مِنْ رَيْبِ البِلَى مَا عَرا

وقولُنا: (لَوْ تُحاربُ التَّنمُّرَ فيعيشَ النَّاسُ بسلامٍ).

ب- العَتَبُ: إذا دَخَلَتْ على فعلٍ ماضٍ، كقولِنا: (ألا شاركْتَ في المُسابقةِ)، و(أَمَا وَقَفْتَ معَ الحقِّ)، و(لَوْ أَكْملْتَ دراستَكَ).

ثانيًا: التَّحضيضُ:

هو طلبٌ بقوّةٍ وشدَّةٍ، يلجأُ إليه المتكلِّمُ عندما يطلبُ إلى المُخَاطَبِ أمرًا مُعيَّنًا بتحريضٍ وحثٍّ، يظهرُ ذلك في كلامِهِ ونبرةِ صوتِهِ، وله أدواتٌ أربعٌ،هي (لَوْلا) و (لَوْمَا) و (أَلَا) و (هَلّا)،وهي أَحرُفٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ، ولها معنيانِ (التَّحضيضُ) أو (التَّأْنيبُ واللَّوْمُ):

أ- التَّحضيضُ: إذا دَخَلتْ على فعلٍ مُضارعٍ، كقولِهِ تعالى: (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة:٧٠)، بمعنى (اشْكروا)، ومثلُهُ قولُنا: (لَوْلا تؤدِّي الأمانةَ إلى أهلِهَا).

وقولِهِ تعالى: (لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الحجر:٧)، بمعنى (ائتِنَا)، ومثلُهُ قولُنا: (لَوْمَا تمتنعُ عَنِ اغتيابِ الآخرين فَتسلمَ).

وقولِهِ تعالى: (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)(التَّوبة:١٣)، بمعنى (قاتِلُوا)، ومثلُهُ قولُنا: (أَلا تُقاتلونَ الإرهابَ).

وقولِ الشَّاعرِ:

هلّا تُفَاخِرُ يَا فَتَى وَتُبَاهِي يَوْمًا بِمَوْطِنِكَ العَزِيْزِ البَاهِي

ومثلُهُ قولُنا: (هلّا تبتعدُ من التقليد الأعمى للآخرين).

ب- التَّأْنيبُ واللَّوْمُ: إذا دَخَلتْ على فعلٍ ماضٍ، مثلُ قولِنا: (لَوْلا أَبطأْتَ في سيرِكَ). وقولِنا: (لَوْما أَطَاعَ العاقُّ والديهِ)، و(أَلَا سأَلْتَ عَنْ جارِكَ)، وكقولِ دِعْبِلٍ الخُزاعيِّ:

هَلّا بَكَيْتَ عَلى الحُسَينِ وَأَهلِهِ هَلّا بَكَيْتَ لمن بَكَاهُ مُحَمَّدُ

وقدْ تخرجُ بعضُ أدواتِ العَرْضِ والتَّحضيضِ إلى معانٍ أُخرى،وهي:

١ـ الاستفتاحُ والتَّنبيهُ: تُسْتَعْمَلُ (أَلَا) و (أَمَا) للاستفتاحِ والتَّنبيه، إذا جاءَتَا في أوَّلِ الجملةِ، وأمكنَ حذفُهما مِنْ دُونِ أنْ يتأثَّرَ المعْنَى، فهُما زائدتانِ لا يدلّانِ على طَلَبٍ، كقولهِ تعالى: (أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ)(يونس:٥٥).

وقولِ أبي العلاءِ المعرّيّ:

أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنّي تَقيٌّ لَمَا آخَيْتُ مِثْلَكَ وَهوَ قَاضِ

ومثلُهُ قولُنا: (أَلَا إنَّ للصَّادقينَ منزلةً عندَ اللهِ)،و(أَمَا واللهِ إنَّ الباطلَ زائلٌ).

تُعربُ (أَلَا) و (أَمَا) في الأمثلةِ المُتقدِّمةِ حرفَي استفتاحٍ وتنبيهٍ لا محلَّ لهما مِنَ الإعرابِ؛ لأنَّهما جَاءَتا في أوَّلِ الجملةِ، ولم يَدُلَّا على طَلَبٍ.

٢ـ الشَّرْطُ: تُسْتَعْمَلُ (لَوْلا) و (لَوْما) و (لَوْ) أدواتِ شَرْطٍ غيرَ جازمةٍ، تُفيدُ معنى النَّفْيِ الضَّمنيِّ، عندَما تأتي بعدَها جملةٌ شرطيَّةٌ، فتكونُ (لَوْلا) و (لَوْما) حرفَي امتناعٍ لوجودٍ، أيْ امتناعُ حصولِ جوابِ الشَّرطِ لِوجودِ الشَّرطِ، كقولِنا: (لَوْلا الشَّمْسُ لَهَلَكَ النَّاسُ)، و(لَوْما الماءُ لَمَاتَ الزَّرْعُ)، والمعنى (امتناعُ هلاكِ النَّاسِ لوجودِ الشَّمسِ) و(امتناعُ موتِ الزَّرعِ لوجودِ الماءِ). ومثلُهُ قولُهُ تعالى: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) (العنكبوت:٥٣). وتُعْرَبُ (لَوْلا) و (لَوْما) في الأمثلةِ المُتقدِّمةِ أداتَي شرطٍ غيرَ جازمتينِ، وهُما حرفَا امتناعٍ لوجودٍ، أمَّا الاسمُ الذي يليهما فيُعربُ مبتدأً خبرُهُ محذوفٌ وجوبًا تقديرُهُ (موجودٌ).

أمَّا (لَوْ) فتكونُ حرفَ امتناعٍ لامتناعٍ، كقولِنا: (لَوْ طبَّقْنَا القانونَ لَعِشْنَا بِسلامٍ)، أي (امتناعُ عيشِنا بسلامٍ لامتناعِ تطبيقِنا القانونَ)، ومثلُهُ قولُهُ تعالى: (لَوْنَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا)(الواقعة:٧٠)

وتُعربُ (لَوْ) في المثالينِ المُتقدّمينِ أداةَ شرطٍ غيرَ جازمةٍ، وهي حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ.

تذكَّرْ عزيزي الطَّالب أنَّ العَرْضَ والتَّحضيضَ مِنَ الأساليبِ الطَّلبيَّةِ، وقد يحتاجُ الطَّلبُ إلى جوابٍ، فإذا كانَ جوابُ العَرْضِ والتَّحضيضِ فعلًا مضارعًا فإنَّه يُسبقُ

بفاءٍ تُسمَّى (الفاءَ السَّببيَّةَ)، وهي أنْ يكونَ ما قبلها سببًا لما بعدَها، ويُنصبُ هذا الفعلُ بـ (أنْ) مُضمرةٍ وجوبًا، كقولنا: (أَلا تَعطفُ على المسكينِ فيعلوَ شأنُكَ)، و(لَوْلا تجتهدُ فَتَنْجَحَ).

فالفعلانِ (يعلوَ) و(تنجحَ) جوابانِ للطَّلبِ (العرض والتَّحضيض)، منصوبانِ بـ (أنْ) مُضمرةٍ وجوبًا بعدَ الفاءِ السَّببيَّةِ. ومثلُهُ قولُهُ تعالى: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ)(المنافقون: ١٠) فالفعلُ (أَصَّدَّقَ) منصوبٌ بـ (أنْ) مضمرةٍ وجوبًا بعدَ الفاءِ السَّببيَّةِ؛ لأنَّه جوابٌ للطَّلبِ بصيغةِ التَّحضيضِ.

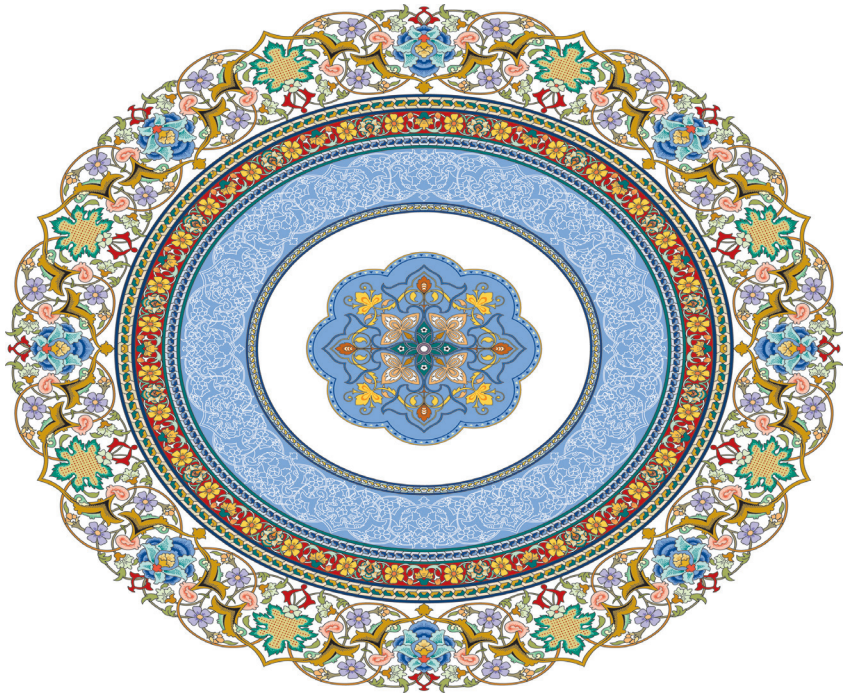

خُلاصةُ القَوَاعِدِ:

١- العرضُ أُسلوبٌ مِنْ أساليبِ الطَّلبِ، وهو طلبٌ برفقٍ ولِيْنٍ، وله أدواتٌ ثلاثٌ، هي: (أَلَا) و (أَمَا) و (لَوْ)، وهي أَحرُفٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، ولها معنيانِ (العَرْضُ): إذا دَخَلَتْ على فعلٍ مُضارعٍ، و(العَتَبُ): إذا دَخَلَتْ على فعلٍ ماضٍ.

٢- التَّحضيضُ أُسلوبٌ مِنْ أساليبِ الطَّلبِ، وهو طلبٌ بقوّةٍ وشدَّةٍ، وله أدواتٌ أربعٌ، هي (لَوْلا) و(لَوْمَا) و(أَلَا) و(هَلّا)، وهي أَحرُفٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، ولها معنيانِ (التَّحضيضُ): إذا دَخَلَتْ على فعلٍ مُضارعٍ، و(التَّأْنيبُ واللَّوْمُ): إذا دَخَلَتْ على فعلٍ ماضٍ.

٣- تخرجُ بعضُ أدواتِ العرضِ والتَّحضيضِ إلى معانٍ أُخرى غيرِ الطَّلب، فتُسْتَعْمَلُ (أَلَا) و(أَمَا) للاستفتاحِ والتَّنبيهِ، إذا جاءَتا في أوَّلِ الجملةِ، وأَمكنَ حذفُهُما مِنْ دونِ أنْ يتأثَّر المعنى. وتُسْتَعْمَلُ (لَوْلا) و(لَوْما) و(لَوْ) للشَّرطِ المتضمّنِ معنى النَّفْيِ، فتكونُ (لَوْلا) و (لَوْما) حرفَي امتناعٍ لوجودٍ، و(لَوْ) حرفَ امتناعٍ لامتناعٍ.

٤- قَدْ يحتاجُ الطَّلَبُ إلى جوابٍ، فإذا كانَ جوابُ العَرْضِ والتَّحضيضِ فعلًا مُضارعًا فإنَّه يُنصبُ بـ (أنْ) مُضمرةٍ وجوبًا بعدَ الفاءِ السَّببيَّةِ؛ لأنَّه جوابٌ للطَّلَبِ.

تقويم اللسان:

(ما زالَ الجوُّ غائمًا) أَمْ (لا زالَ الجوُّ غائمًا)؟

قُـــلْ: ما زالَ الجوُّ غائمًا.

وَلا تَقُـــلْ: لا زالَ الجوُّ غائمًا.

السَّببُ:لأنَّ (لا النَّافية) إذا دخلت على الفعل الماضي غالبًا تفيد الدعاء.

حَلِّلْ وأَعْرِبْ

حَلِّلْ ثُمَّ أَعْرِبْ قولَ الخنساءِ:

أَعَيْنَيَّ هَلّا تَبكِيانِ عَلى صَخرِ بِدَمْعٍ حَثِيْثٍ لا بَكِيءٍ وَلا نَزْرِ

تذكر

أنَّ من أنواع (لا) النَّافيةِ أنْ تكونَ مُعترِضةً بين النَّعْتِ والمنعوتِ، وغالبًا ما يُكرَّرُ النَّفيُ بعدها بأداةِ نفيٍ زائدةٍ.

تعلمت

أنَّ للأداةِ (هلّا) معنيينِ، الأوَّل (التَّحضيضُ) إذا دخلتْ على فعلٍ مضارعٍ، والثَّاني (التَّأنيبُ واللَّوْمُ) إذا دَخَلتْ على فعلٍ ماضٍ.

الإعرابُ:

أَعَيْنَيَّ: (الهمزةُ) أداةُ نداء، (عَيْنَيَّ) منادًى منصوبٌ وعلامةُ نصبِهِ الياءُ لأنَّه مُثنًّى، وهو مُضافٌ، والياءُ ضميرٌ مُتّصلٌ مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ بالإضافةِ.

هَلّا: أداةُ تحضيضٍ.

تَبكِيانِ: فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعِهِ ثبوتُ النُّونِ لأنَّه منَ الأفعالِ الخمسةِ، وألفُ الاثنينِ ضميرٌ مُتّصلٌ مبنيٌّ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ.

عَلى صَخرٍ: جارٌّ ومجرورٌ.

بِدَمْعٍ: جارٌّ ومجرورٌ.

حَثِيْثٍ: نعتٌ مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظاهرة في آخره.

لا: نافيةٌ مُعترضةٌ.

بَكِيءٍ: نعتٌ مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظاهرة في آخره.

وَلا: الواوُ حرفُ عطفٍ، (لا) نافية غير عاملة زائدة للتوكيد.

نَزْرِ: عطفٌ مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظاهرة في آخره.

حَلِّلْ وأَعْرِبْ

قال أبو العلاء المعريّ:

أَيا مفرقي هَلّا اِبْيَضَضْتَ عَلى المَدَى فَما سَرَّنِي أَنْ بِتَّ أَسْوَدَ حَالِكا

التَّمرينات

التمرين (١)

اسْتَخْرِجْ أدواتِ العَرْضِ والتَّحضيضِ، مُبيِّنًا معانيها والسَّببَ فيما يأتي:

١- قالَ تعالى: (وإذ نادى ربك موسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَايَتَّقُونَ) (الشُّعراء:١٠،١١)

٢- قالَ تعالى:(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ)(الواقعة:٦٢)

٣- قالَ تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ)(مُحمَّد:٢٠)

٤- قالَ تعالى: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(النُّور:٢٢)

٥- قالَ كَعْبُ بنُ زُهيرٍ:

هَلّا سَأَلْتِ وَأَنْتِ غَيْرُ عَيِيَّةٍ وَشِفاءُ ذِي العِيِّ السُّؤَالُ عَنِ العَمَى

٦- قالَ الرُّصافيُّ:

يَا رَبَّةَ الـحُسْنِ هَلّا تَعْطِفِيْنَ عَلَى مَنْ بَاتَ سَهْرَانَ مَشْغُولًا بِذِكْرَاكِ

٧- لَوْ نَزَلْتَ عِنْدَنَا فَتَأْكُلَ.

٨- أَمَا تَعْطِفُ على الصَّغيرِ.

٩- أَلَا أَعْطَيْتَنِي كِتابًا.

١٠- أَمَا تلتزمونَ بالنِّظامِ.

١١- لَوْما أَعَنْتَ أخاكَ.

التمرين (٢)

دُلَّ على المعاني غيرِ الطَّلبيَّةِ التي خَرَجَتْ إليها أدواتُ العَرْضِ والتَّحضيضِ، مَعَ ذِكْرِ السَّبَبِ فيما يأتي:

١- قالَ تعالى: (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)(الكهف:٧٧)

٢- قالَ تعالى:(وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)(الصَّافّات:٥٧)

٣- قالَ تعالى: (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ)(الأعراف:١٥٥)

٤- قالَ تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا)(الحشر:٢١)

٥- قالَ النَّبيُّ الأكرمُ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم): «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

٦- قالَ الإمامُ عليٌّ(عليه السَّلامُ): «أَلَا وإنَّه لَايَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيْعِ دِيْنِكُمْ شيءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

٧- قالَ جريرٌ:

لَوْلا الحَياءُ لَعَادَني اِستِعبـــــارُ ... وَلَـــزُرْتُ قَبرَكِ وَالحَبِيْبُ يُــزارُ

٨- قالَ أبو العتاهيةِ:

أَمَا وَاللهِ إنَّ لَهـــــا رَســـولاً ... وَأُقسِـــمُ لَو ْ أَتاكَ لَمَـــــا أَقالَك

٩- قالَ البُحتريُّ:

أَمَا وَالَّذِي أَعْطاكَ فَضْلًا وَبَسْطَةً ... عَلى كُلِّ حَيٍّ وَاِصْطَفاكَ عَلى الخَلْقِ

١٠- قالَ المتنبّيّ:

لَوْ مَا الإصَاخَةُ لِلوُشَاةِ لَكَانَ لِـي ... مِنْ بَعْدِ سُخْطِكَ في رِضَاكَ رَجَاءُ

١١- أَلَا إنَّ الحقَّ لَمُنْتَصِرٌ.

١٢- لَوْلا النِّسْيانُ لَهَلَكَ النَّاسُ.

١٣- لَوْ أَخلصْتَ في عملِكَ لَرَضِيَ اللهُ عَنْكَ.

التمرين (٣)

سمِّ نوعَ الطَّلب (عرضٌ أو تحضيضٌ)، ثُمَّ دُلَّ على جوابِه، وأَعْرِبْه، فيما يأتي:

١- قالَ تعالى: (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ)(طه:١٣٤)

٢- قالَ تعالى: (لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا)(الفرقان:٧)

٣- قالَ عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ:

هَلّا اِرْعَوَيْتِ فَتَرحَمِي صَبّا ... صَدْيَانَ لَمْ تَدَعِي لَهُ قَلْبَا

٤- قالَ الشَّاعرُ:

يَا ابْنَ الكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا ... قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

٥- قالَ الشَّاعرُ:

لَوْلاَ تَعوجِينَ يَاسَلْمَى عَلَى دَنَفٍ فَتُخْمِدِي نار وَجْدٍ كَادَ يُفْنِيهِ

٦- قالَ الشَّاعرُ:

هَلّا اِتّخَذْتَ إلى الرَّسُولِ سَبِيْلا فَتُشَاهِدَ المأْمُوْنَ والمأْمُولا

٧- أَلَا تُبلِّغ السُّلطاتِ عن الذَّخائرِ غَيرِ المُتفجِّرةِ فيتخلّصَ المواطنون مِنْ شُرورِها.

٨- لَوْلا تأْتِيَنا فَنُكرِمَكَ .

٩- أَمَا اجْتَهَدْتَ فَتَجْنِيَ ثِمَارَ اجْتِهادِكَ .

١٠- لَوْ تَحْتَرِمُ القانونَ فتأْمَنَ العُقوبةَ .

١١- لَوْما قَرَأْتَ فَيَتَّسِعَ فِكْرُكَ .

التمرين (٤)

حَوِّل معاني أدواتِ العَرْضِ والتَّحضيضِ في الجملِ التَّاليةِ إلى معاني العَتَبِ والتَّأنيبِ واللّوْمِ، واذْكرِ السَّببَ.

١- أَلا تزورُنا فَنَفْرَحَ بِكَ.

٢- لَوْ تُمارسُ الرِّياضةَ فيَصحَّ بدنُكَ .

٣- لَوْمَا تبتعدُ من النَّميمةِ.

٤- لَوْلا تتوبونَ إلى اللهِ فيتوبَ عَلَيْكُمْ.

٥- هَلّا تتواضَعُ فيرفعَ اللهُ شأنَكَ.

٦- أَلا تُقْلِعُ عنِ التَّدخينِ فَتَسْلَمَ.

التمرين (٥)

عبِّر عمَّا يلي لواحدٍ مِنَ المعاني الآتية: (العرضُ، أو التَّحضيضُ، أو العَتَبُ، أو التَّأنيبُ واللَّوْمُ، أو الشَّرطُ، أو الاستفتاحُ والتَّنبيهُ)، بأسلوبٍ طلبيٍّ مُناسبٍ، ثُمَّ اذْكُرْ نوعَ الأسلوبِ وأداتَهُ والسَّببَ.

١- العفوُ عنِ المُذْنِبِ.
٢- نُصْرَةُ المظلومِ.
٣- التَّفكُّرُ بالكلامِ قبلَ النُّطْقِ بِهِ.
٤- التَّخلُّقُ بالأخلاقِ الكريمةِ.
٥- الحثُّ على التَّفوُّقِ.
٦- التَّحذيرُ مِنْ عدمِ الإخلاصِ في العملِ.

التمرين (٦)

١- قالَ عَنْتَرَة:

هَلّا سَأَلْتِ الخَيْلَ يا اِبنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِما لَمْ تَعلَمِي

أ- سمِّ أُسلوبَ الطَّلبِ الذي تضمَّنَه النَّصُّ، والمعنى الذي أَفَادَه، ولماذا ؟

ب- لو استبدلْتَ (تَسْأَلينَ) بـ (سَأَلْتِ)، ما الذي يتغيَّرُ في معنى الجملةِ ؟

ج- استعملْ أداةً مِنْ أَدواتِ الطَّلبِ تؤدِّي معنى (هَلّا).

د- إذا استبدلْتَ (أَمَا) بـ (هَلّا)، فهلْ يتغيَّرُ معنى الجملةِ ؟

٢- قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ:

وَلَوْلا الشِّعْرُ بِالعُلَماءِ يُزْرِي لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيْدِ

- ما المعنى الذي أَفادته (لولا) ؟ وكيفَ يُعْرَبُ مَا بَعْدَها ؟

٣- (أَمَا تُشاركُ في حملةِ التبرُّعِ بالدَّمِ) ، (أَمَا شاركْتَ في حملةِ التبرُّعِ بالدَّمِ):

- ما الذي تُفيدُهُ (أَمَا) في الجملتينِ ؟

٤- استعملْ كُلًّا مِنْ (لَوْلا) و (لَوْما) في ثلاثِ جُملٍ، تُفيدُ في الأولى معنى التَّحضيضِ، وفي الثَّانيةِ معنى التَّأنيبِ واللَّوْمِ، وفي الثَّالثةِ معنى الشَّرْطِ.

٥- استعملْ كُلًّا مِنْ (أَلَا) و (أَمَا) في ثلاثِ جُملٍ، تُفيدُ في الأولى معنى العَرْضِ، وفي الثَّانيةِ معنى العَتَبِ، وفي الثَّالثةِ معنى الاستفتاحِ والتَّنبيهِ.

الدَّرْسُ الثالث : التّعبيرُ

أوَّلًا: التَّعبيرُ الشَّفهيُّ:

ناقِشْ معَ زُملائِكَ ومُدرِّسِكَ الأسئلةَ الآتيةَ:

١- أتُبْنَى الحضارةُ بِما يُنجزُه أهلُها في الزَّمنِ الحاضرِ فقطْ، أمْ تُبْنَى بتضافُرِ ما أنجزَهُ الأوَّلونَ وما يُنجزُهُ الآخِرونَ ؟

٢- أتَعني الحداثةُ التقليدَ الأعمى، أمْ تعني الانتفاعَ مِنْ تجاربِ الآخرينَ بما يُحقِّقُ لَكَ نجاحًا وتميُّزًا، مِنْ دونِ مساسٍ بثوابِتِكَ ومبادِئِكَ ؟

٣- كيفَ تكونُ مُنْتِجًا للمَعْرِفَةِ لا مُسْتَهْلِكًا فقطْ ؟

٤- كيفَ تستثمرُ التِّقَانَةَ الحديثةَ في خِدمةِ الإنسانِ والارتقاءِ بمعارفِهِ ؟

ثانيًا: التَّعبيرُ التَّحريريُّ:

اكتبْ مقالًا تتكلَّمُ فيه على مكانةِ الوالدَيْنِ ووجوبِ طاعتِهما إلّا فيما حرَّمَ اللهُ تعالى، مُنْطَلِقًا منْ قولِهِ تعالى: ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)). (العنكبوت:٨)

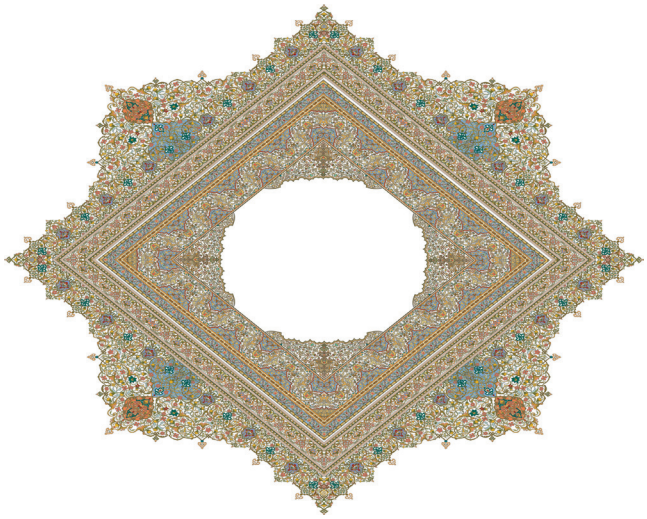

المَقَالَةُ

المَقَالَةُ هِي إحدى أنْوَاعِ فَنِّ النَّثْرِ، وَهِيَ قِطْعَةٌ إنشائيّةٌ طويلةٌ تُكْتَبُ نَثْرًا، تُعالِجُ موضوعًا مُعيّنًا مِنْ وِجْهةِ نَظَرِ الكَاتِبِ. تُقَسَّمُ المَقَالَةُ عَلى أنواعٍ كثيرةٍ ومُتعدّدةٍ.

نشأتِ المقالةُ في الآدابِ الأوروبيَّةِ الحديثةِ، وارتبطتِ ارتباطًا وثيقًا بالصَّحافةِ الَّتي ازدهرتْ في عصرِ النَّهضةِ، وما واكبَها مِنْ تطورِ الأنشطةِ الفكريَّةِ والعِلْميَّةِ والثَّقافيَّةِ والسِّياسيَّةِ، الَّتي أدَّت إلى تزايدِ عَدَدِ الصُّحُفِ والمَجَلَّاتِ المُختلِفةِ المُوضوعاتِ.

ويُعَدُّ الكاتِبُ الفرنسيُّ (مونتيني) (١٥٣٣-١٥٩٢) مُنشئَ المقالةِ الحديثةِ، الَّتي عرفَها العربُ في نهايةِ القَرْنِ التَّاسعَ عشرَ ومَطلعِ القَرْنِ العشرين بَعْدَ إنشاءِ الصُّحُفِ والمَجَلَّات، وتزايد النَّشاطِ السِّياسيِّ، وظُهُورِ الحركاتِ المُناهِضَةِ للاستعمارِ، فضلًا عَنْ تزايدِ أعدادِ دُعَاةِ النَّهضةِ وانتشارِ التَّعليمِ في البُلْدانِ العربيَّةِ، سواء أكان ذلك بازديادِ عددِ المدارسِ أم بالاتِّصالِ بالغربِ عبر البَعْثَاتِ.

وقد عرفتِ الآدابُ العربيَّةُ قديمًا فَنًّا مُشابِهًا للمقالةِ، هُوَ (فَنُّ الرَّسائلِ)، وفيه يتناولُ الكاتبُ موضوعًا بعينِه على نحوٍ مُوجَزٍ.

والمقالةُ على نوعينِ، ذاتيَّةٌ وموضوعيَّةٌ.

فالمقالةُ الذاتيَّةُ، وتُسمَّى أيْضًا (الأدبيَّة) تعتمدُ الأسلوبَ الأدبيَّ الَّذي يَشعُّ بالعاطفةِ ويستندُ إلى الصُّوَرِ الفنيَّةِ، أمَّا المقالةُ الموضوعيَّةُ، وتُسمَّى أيضًا(العِلْميَّة)، فتُعْنَى بعرضِ موضوعٍ علميٍّ، وتحرصُ على التَّقيدِ بأسلوبِ العرضِ العلميِّ الواضحِ، وتقديمِ المُقَدِّماتِ واستخراجِ النَّتائجِ.

ويُشْتَرَطُ في المقالةِ الأدبيَّةِ أنْ تُعَبِّرَ عنْ أفكارِ كاتبِها ومشاعرِه وتجاربِه، والبُعْدِ مِنَ التَّكَلُّفِ والصَّنْعةِ.

أمَّا خصائصُ المقالة الأدبية، فهي الوَحْدةُ في الموضوعِ، ووضوحُ الفكرةِ المعروضةِ، والتَّرتيبُ المتسلسلُ والمنطقيُّ للأفكارِ؛ فتكونُ كلُّ فكرةٍ ممهِّدةً للفكرةِ الَّتي بعدها، و أيضا تكونُ نتيجةً للفكرةِ الَّتي تسبقُها، والابتعاد من تضمينِ الألفاظِ الغريبةِ، وغير المفهومةِ من النص الأدبي.

عليّ جواد الطَّاهر:

في عام ١٩١٩ وُلِدَ الدّكتورُ عليّ جواد الطّاهر في الحِلَّةِ، وتلقَّى فيها تعليمَه الابتدائيَّ ثُمَّ الثَّانويَّ، ليدرسَ بَعْدَ ذَلِكَ اللغةَ العربيَّةَ وآدابَها في دارِ المُعَلِّمينِ العاليةِ، متتلْمِذًا لِكبار علماءِ العربيَّةِ في عصرِه ، مثل الدُّكتورِ مُحمَّد مهدي البصيرِ، والدكتور العلَّامة مصطفى جواد، والأستاذ طه الرَّاويِّ وغيرهم مِنَ الأعلامِ.

يُعَدُّ عليّ جواد الطاهر واحدًا مِنْ أهمِّ النُّقادِ والمُحقِّقينَ في عصرِه، إذ النَّقدُ ميدانُهُ الأرحبُ والأهمُّ مِنْ بينِ الميادينِ الأدبيَّةِ، فضلًا عَنْ أنَّه كاتبُ مَقالةٍ أدبيَّةٍ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ؛ إذْ يُزاوجُ في مقالاتِهِ وسائرِ أدبِهِ بينَ الحديثِ والقديمِ على نَحْوٍ مُنْسَجِمٍ مُتآلِفٍ يجذبُ القارئَ ويَحُثُّه على الاستمراريَّةِ في قراءةِ النَّصِّ.

في عام ١٩٥٤ حازَ درجةَ الدُّكتوراه مِنْ جامعةِ السُّوربون في فرنسا. تُوفِّي في بغدادَ عام (١٩٩٦).

له مؤلَّفاتٌ في مجالاتِ الأدبِ الكثيرةِ؛ ولاسيَّما المقالةِ، منها: (أساتذتي ومقالات أخرى)، و(البابُ الضَّيِّقُ)، و(وراءَ الأفقِ الأدبيِّ) الَّذي اخترنا لكَ مِنه هذه المقالةَ:

فَرْقٌ بَيْنَ أنْ تَدَّعِيَ الجَدِيْدَ ... وأنْ تَقْدُرَ عَلَيْه ! (للدرس)

لَيْسَ فِيْنَا مَنْ يُحِبُّ المَوْتَ، وَلَيْسَ فِيْنَا مَنْ يَقِفُ إعْجَابُهُ عِنْدَ أُمُوْر مَضَتْ وَانْقَضَتْ .. ثُمَّ لَيْسَ فِيْنَا مَنْ لا يَوَدُّ أنْ يَكُوْنَ عَظِيْمًا، كَبِيْرًا، يُشَارُ إلَيْه بِالبَنَانِ، وَيَطبعُ التَّاريخُ بَطَابِعِه فَيَعْتَرِفُ لَهُ النَّاسُ بِفَضْلِ السَّبْقِ مَعَ التَّجْوِيْدِ والإبْدَاعِ .

وَقَدْ يَعْجَبُ بَعْضُنا بِعِظامٍ نَخِرَةٍ وَيَحْسَبُ نَفْسه فاضِلًا فِي ذَلِكَ، كَرِيْمًا حكيْمًا. قَدْ. وَلَا مُوْجِبَ إلى التَّعليلِ؛ لأنَّ الأمرَ يُوْشَكُ أنْ يَكونَ مِنْ صِفاتِ الإنْسَانِ. وَتَمرُّ بِضَرْبٍ مِنَ البَشَرِ، فِي عَصْرٍ مِنَ العُصُوْرِ، حالاتٌ مِنَ الفُتُورِ يَكادُ يَتَوقَّفُ فِيْهَا الفِكْرُ وَيَشْلُ الذَّكاءُ ويُضوى الإبداع، كأنَّ النَّاسَ فِيْهَا أمواتٌ فِي الأمواتِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهَا حَيًّا يَتَشَبَّثُ بِالعِظَامِ، وَيَتَعَلقُ بِنَتَاجِ الأقَدمين.

وَقَدْ تَنَامُ الأمَّةُ، علَى هَذَا، قَرْنًا أوْ قَرْنَيْنِ أوْ سِتَّةَ قُرُوْنٍ، ولكِنَّهَا لابُدَّ مِنْ أنْ تَصْحُوَ يَوْمًا عَلَى دَوِيٍّ يَقِضُّ مَضَاجِعَها، وَيَهِزُّ كِيْانَها فَيَكونُ إيْذانًا بِجَدِيْدٍ تَتَضَافَرُ أسْبَابُه وتَتَسانَدُ عَوامِلُه فَيُصْبِحُ مَطْلَبًا يُرِيْدُه الأكْثَرُونَ، ويَعْتَرِفُ بِالحَاجَةِ إلَيْه الأكْثَرُونَ.

نَحْنُ، إذن، في عَصْرٍ جَدِيْدٍ، وَلِهَذَا العَصْرُ مُقْتضياتُه ومُقوِّماتُه. إنَّه يُرِيدُ كَذَا في المَسْكَنِ والمَأْكَلِ ، وَكَذَا في السِّياسةِ والاجتماعِ، وَكَذَا فَي الفَنِّ والأَدَبِ. إنَّه يُرِيدُ . ولكنَّ المَسألةَ تَبْقَى فِيمَنْ يُحَقِّقُ هَذِهِ الأُمْنِيةَ. أيَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ طَلَبَهُ ؟ أيَسْتَطِيْعُه انْتِهَازِيٌّ لَهُ حاسَّةٌ قَوِيَّةٌ فِي الشَّمِّ دُوْنَ أنْ تَكُوْنَ لَهُ القُدْرَةُ علَى الإبْدَاعِ ؟ أيَسْتَطِيْعُه إنْسَانٌ كَثِيْرُ الطِّمَاحِ، كَثِيْرُ الحُبِّ لِنَفْسِه، كَثِيْرُالتَّفْكِيْرِ فِي أَنْ يُدْعَى مُجَدِّدًا ؟

إنَّ كُلَّ مَا فِي الجَوِّ يَدْعُو إلى الجَدِيْدِ وَيَرْهَصُ لَهُ. وفَكَّرَ فُلانٌ وفُلانٌ مَلِيًّا فِي الأمْرِ، وأطَالا التَّفْكِيْرَ وَاخْتَلَسَا مَا لِلآخَرِيْنَ، وَتَبْنَّيَا مَا لَمْ يَجْرُؤِ الآخَرُوْنَ عَلَى التَّصريحِ بِهِ. تُرَى مَاذَا يُرِيْدُ النَّاسُ اليَوْمَ ؟ لَقَدْ مَلُّوا القَدِيْمَ، وَخَلَبَهُم جَدِيْدُ غَيْرِهِم . فَلِمَ لَا نَهْتَبِلُ الفُرْصَةَ ؟ قَدْ نَكُوْنُ فَاقِدِي المَادَّةِ الَّتي تُوْصِلُنَا إلَى الجَدِيْدِ المُنْتَظَرِ، وَلَكِنَّنَا نَسْتَطِيْعُ أنْ نَتَمَتَّعَ بِمَكَانَةِ المُجَدِّدِ الحَقِيْقِيِّ كَأنْ نَسْتَوْلِي عَلَى لَقَبِهِ وَنَسْتَحْوِذُ عَلَى مَجْدِهِ . وَلْيَكُنْ بَعْدَ

ذَلِكَ مَا يَكُوْنُ وَمَاذَا يَكُوْنُ ؟ إنَّنَا رَابِحَانِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالدُّنيا تُؤْخَذُ غَلَابا، وَسَيَبْقَى لَنَا فَضْلُ التَّبْكِيْرِ وَالسَّبْقِ وَالرِّيَادَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِالقَلِيْلِ.

دَرَسَ فُلانٌ وَفُلانٌ المَوْقِفَ جَيِّدًا، وَجَسَّا نَبْضَ النَّاسِ بِحَذْقٍ، وَعَرَفَا مِنْ أيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ، فَشَمَّرَا وَهُمَا يَعْلَمَانِ أنَّ العَيْشَ فُرَصٌ، وَرَاحَا يَدَّعِيَانِ التَّجْدِيْدَ وَيُجَرِّدَانِ القَدِيْمَ مِنْ كُلِّ فَضِيْلَةٍ، وَيَرْسُمَانِ لِلْجَدِيْدِ صُوَرًا لَيْسَتْ بِذَاتِ دَلالَةٍ؛ لأنَّها لَوْ كانَتْ ذَاتَ دَلالَةٍ لَفُهِمَتْ وَنُوْقِشَتْ وَفُضِحَتْ. وَلَوْ كَانَتْ ذَاتَ أساسٍ لَدُرِسَ الأسَاسُ، وَبَانَ الزَّيْفُ .. بَلْ إنَّ العَصْرَ الجَدِيْدَ يَطْلُبُ الإبْهَامَ وَيَدْعُو إلَى الإغْمَاضِ. أَلَمْ يُبْهِمِ الغَرْبُ ؟ أَلَمْ يُغْمِضْ؟ بَلْ إنَّ العَصْرَ مِنَ الجَهْلِ بِكُنْهِ الجَدِيْدِ بِحَيْثُ بَاتَ يَطْلُبُ مَنْ يَخْدَعُه بِهَذَا الجَدِيْدِ، وَيَرْتَاحُ كَثِيْرًا للمُصْطَلَحَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ الَّتي يَجْهَلُهَا، وَيهِيْمُ بِالأسْمَاءِ الَّتي أثَارَتِ الضَّجِيْجَ فِي بِلادِهَا.

إنَّها مَسْألةُ حَاجةِ عَصْرٍ، وَرَغْبةٌ فِي اسْتِغلالِ الحَاجَةِ. وَتَقُوْمُ هَذِه الرَّغْبةُ أوَّلَ مَا تَقُوْمُ عَلى خُبْثٍ عَميقٍ، وَتَتَّسِمُ، أوَّلَ مَا تَتَّسِمُ، بِشَعْوَذةٍ رَهِيبةٍ. وَيَحْدُثُ– لَسُوْءِ الحَظِّ– أنْ تَنجحَ مِثْلُ هَذِه الرَّغْبةِ، وَلكنَّ الَّذي يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِك – لِحُسْنِ الحَظِّ أنْ الرَّغْبةَ وَحْدَها لا تَفْعلُ شَيْئًا، وَأنَّ حَبْلَ الشَّعوذةِ لا يَمْتَدُّ طَويلاً، فيأتِي يَوْمٌ يَنْظرُ النَّاسُ فِي حالِهم، وفِي هَذا الَّذي يُقَدَّمُ إلَيْهِم عَلى أنَّه جَدِيْدٌ، فَيَرونَ أنَّه سَقْطٌ وَتَشْويهٌ، وأنَّه عَقَبَةٌ تُؤخِّرُ مِنْ مَيلادِ الجَدِيْدِ المُنْتَظَرِ ..

يُفْتَحُ البابُ علَى مِصْرَاعيْهِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ القَادِرُ علَى الجَدِيْدِ، الصَّادِقُ فِيه، المُؤَهَّلُ لَه .. فَيُمَيِّزُ النَّاسُ– حِينئذٍ– بَيْنَ جَدِيْدٍ وَجَدِيْدٍ، فَتُطْوى الصَّفحاتُ المُشَوَّهةُ السَّابِقةُ، وَكأنْ لَمْ تَكُنْ، وَيَرَى النَّاسُ فِي الجَدِيْدِ الجَدِيْدَ مَا يَحُوْلُ دُوْنَ الالتِفاتِ إلى المَاضِي القَرِيْبِ، وإذَا التَفَتُوا فَبِمِقْدارِ مَا يَقْتَضي الهُزْءُ وَتدعُو السُّخْريةُ. ويَكْفي أهلَ المَاضِي المُشَوَّهِ هَذِهِ العُزْلَةُ الَّتي يُعانونَها، فَمَا هُمْ مِنَ القَدِيْمِ، وَمَا هُمْ مِنَ الرُّوَّادِ، إنَّهُم مِنْ سَقْطِ المَتَاعِ، وفِي ذَلِكَ عَبْرةٌ لِمَنِ اعْتَبر .

التعليق النقدي:

ابتداءً مِنْ عنوانِ المَقالةِ يظهرُ موضوعُها الَّذي أرادَ الدَّكتورُ عليّ جواد الطَّاهرُ عرضَه ومناقشتَهُ، فمسألةُ الصِّراعِ بين القديمِ والجديدِ مسألةٌ قديمةٌ متجدِّدةٌ.

فالفكرةُ الرَّئيسةُ لهذه المَقالةِ هي بيانُ زيفِ بعضِ مُدَّعي التَّجديدِ مِمَّن يركبونَ هذِهِ المَوْجةَ بُغية تَحقيقِ المَجْدِ الشَّخصيِّ، والشُّهرة على حِسابِ الحقيقةِ، وهُم إنَّما يَلْجؤون أوَّلا إلى الهُزْءِ بِالقديمِ والدَّعوةِ إلى تركِهِ وتشويهِهِ.

غيرَ أنَّ الطَّاهرَ يُبيِّنُ أنَّ الدَّعوةَ إلى الجديدِ الحقيقيِّ النَّافعِ للناسِ، لنْ تكونَ بِطَعْنِ القديمِ الَّذي هُوَ أصلُه وأُسُّه الَّذي يستنِدُ إليه، فَهُما يَتَضافَرانِ مَعًا، فَلَيْس كُلُّ جديدٍ وقديمٍ مُتعارضينِ، وَلَيْس كُلُّ قديمٍ سيِّئًا لابُدَّ مِنْ نبذِهِ وقطعِ دابرِهِ، فَمَا هُوَ جديدٌ اليومَ سيُصبحُ قديمًا غدًا، وهذِهِ هِي سُنَّةُ الحياةِ.

وقَدْ عَرَضَ الطَّاهرُ هذِهِ الفِكرةَ لِفَضْحِ مُدَّعِي التَّجديدِ مِمَّنْ ستكونُ عواقِبُهم التَّأريخيَّةُ وخيمةً إنْ ظَهَرَ الجديدُ الحقيقيُّ. وهُو بِذَلِكَ يدعُو إلى التَّمَهُّلِ في قَبُوْلِ ما يبدو جديدًا؛ ولاسيَّما إنْ طَعَنَ فِي التُّراثِ.

أمَّا خَصائصُ المقالِ الأدبيِّ فهِي هنا مُتَحقِّقةٌ جميعُها، مِنْ وَحْدةِ المَوْضُوعِ، ووُضُوحِ الفِكْرةِ، والتَّرتيبِ المُتَسلسلِ والمنطقيِّ للأفكارِالمَعْروضةِ، وَقَدِ ابتَعَدَ مِنْ تضمينِ الألفاظِ الغريبةِ، وغيرِ المفهومةِ فجاءَتِ المقالةُ سَهْلةً على الأفهامِ واضحةَ البيانِ.

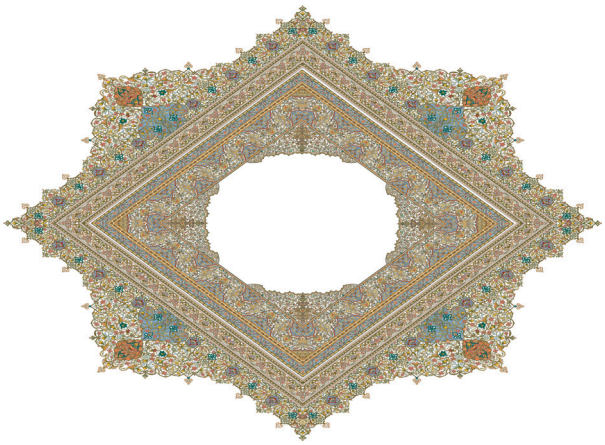

أسئلة المناقشة:

١- مَا تعريفُ المَقالةِ؟ ومَنْ مُنشئُ المَقالةِ في العَصْرِ الحديْثِ؟

٢- مَا أنْوَاعُ المَقالةِ؟ تحدَّثْ عَنها بإيجازٍ.

٣- مَا عَلاقةُ نُشوءِ المَقالةِ بالصَّحافةِ؟

٤- مَا خصائِصُ المَقالةِ الأدبيَّةِ؟

٥- متَى وُلِدَ الدُّكتورُ عليّ جواد الطَّاهرُ، وأينَ؟

٦- مَا عُنْوانُ مَقالةِ الطَّاهرِ؟ وَهَلْ كانَ المُحتوى مُتناسبًا مَعَ هذا العُنوانِ؟

٧- مَا رأيُكَ بِمَقالةِ الطَّاهرِ مِنْ حَيْثُ تحقُّقُ خصائصِ المَقالةِ؟